اسلحة الحرب الخامسة

هشام عبد الله

تميزت جميع الحروب العربية ــ الاسرائيلية بعدم الحسم ، وكانت كل حرب منها تحمل في ذاتها جرثومة الحرب التي تلي . ولم تستطع جميع الاتفاقات والتعهدات السابقه الصمود لضغط الاطماع الصهيونية ، او لالحاح الحقوق العربية . ولا تختلف حرب ١٩٧٣ ، والسياسة والاتفاقات التي تلتها ، عن باقي الحروب السابقة . وهي لن تمثل ، رغم كل شيء ، أي انعطاف في مجرى انهاء الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، لانها لم تمس جوهر العقيدة او الوجود الصهيونيين ، ولم تعد الحق العربي الى اصحابه . اضف الى ذلك انه لم يطرأ اي انخفاض على الاستعدادات العسكرية لدى اي من الاطراف المتنازعة في الفترة التي تلت الحرب بل هي زادت بشكل لم يسبق له مثيل .

ولقد تمثلت جرثومة حرب ١٩٧٣ في لاءات مؤتمر الخرطوم الثلاث ، من جهة ، وفي تمسك اسرائيل بالاراضي العربية المحتلة ، من جهة اخرى . وكان العامل الاول تعبيراً عن الكبرياء العربي الجريح ، اما الثاني فكان نتاج غطرسة العسكرية الاسرائيلية ، والمخططات الصهيونية . ولقد نمت هذه الجرثومة التي بذرتها حرب ١٩٦٧ ، وترعرعت بعد ان توفرت لها جميع العوامل المادية والقناعات المعنوية ، لتنفجر في حرب اخرى غير حاسمة هي حرب ١٩٧٣ . ورغم الاختلافات الكثيرة في شكل كلا الحربين والطريقة التي دارتا بها ، ورغم النتائج المختلفة سواء على صعيد الخسائر البشرية او المادية ، او على صعيد اعادة تقييم كل طرف لنفسه وللطرف الاخر ، فانه لم يطرأ اي تغير ذو قيمة على موقف كلا الطرفين فلاءات الخرطوم ما زالت قائمة بشكل ضمني او علني ، والموقف الاسرائيلي ما زال متشددا جدا رغم بعض اللين الذي يظهر من حين لاخر .

ان مما يهيء الاجواء لنشوب حرب خامسة ، بالاضافة الى العوامل السابقة ، هو حملة التسلح الضخمة التي تجري في منطقة الشرق الاوسط . وقد اصبح التسلح هاجسا عاما يسيطر على المنطقة منذ قيام دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ . وكان من الاهمية بحيث اثر تأثيرا بالغا على التيارات والاتجاهات السياسية لدول المنطقة . ولم تحظ اية مؤسسة لدى جميع هذه الدول بذلك القدر من الاهتمام الذي حظيت به مؤسساتها العسكرية . والواقع انه يصعب تصور ان الجيوش الضخمة التي خاضت حرب ١٩٧٣ هي وليدة القوات سيئة التسليح التي خاضت حرب ١٩٤٨ . فالجيش المصري الذي لم يزد تعداده في العام ١٩٤٩ عن ٦٠ الف رجل مع الاحتياط ، لا يملكون سوى ٨٠ دبابة ومدفع اقتحام(١)،خاض حرب ١٩٧٣ بقوة تصل الى ٣٠٠ الف رجل يضاف اليهم اكثر من ٥٠٠ الف جندي من الاحتياط وبقوة من الدبابات تزيد عن ٢٠٠٠ دبابة . اما الجيش الاسرائيلي الذي لم يزد عدده في العام ١٩٤٩ عن ٧٠ الف جندي مع الاحتياط يملكون ٤٠ دبابة فقط(٢)، فقد خاض حرب ١٩٧٣ وقوامه ٣٢٥ الف جندي